

المشرق

الكرسي الرسولي والطقس اليوناني

الجناب الاديب الفاضل حبيب الزيات

احد ابناء طائفة الروم الكاثوليك المالكين في دمشق

لم يكن يُظنّ بعد ما ورد في رسالة الاب الاقدس التي اصدرها سنة ١٨٩٤ ١) للتويه بشرف الكنائس الشرقية وتأيد طقوسها وتعزيز حقوقها ولاسيما اليونانية منها ان يبقى فريق من طائفة الروم المالكين خاصة يتوهمون ان الكرسي الرسولي لا يزال طامعاً في تضيق امتيازاتهم يتحين غيلةً منهم ليبادر الى خرق عواندهم توصلًا بذلك الى ما يضره من مساواتهم بشار الطوائف اللاتينية . ولذلك لما كان الانتخاب الاخير قامت بعض الصحف المتطاوله تدعي له اغراضاً في النفس زعمت انه ساع في تحقيقها عامل سراً على انفاذها فصادف ادعائها هذا هوى في نفوس البعض صمت لاجابه ان اجمع اقوال الاحبار الاعظمين وأسرر احكامهم التي قضوا فيها بوجوب تأييد الطقوس الشرقية كما وضعها آباؤها القديسون ونهوا في حينها ان تمس الرسوم والتهديات اليونانية بتبديل او تعديل . ثم علمت ان مثل هذه الاقوال والاحكام على عمومها وتناولها بقية الكنائس الشرقية قد لا تنفع الإقناع الكافي اذا لم تُعزّز ببعض الشواهد الخاصة بدخلة الطائفة النصوص فيها على نظاماتها ونسبتها . فجمعت اذ ذاك دأبي التتقيب عن اشباها اكتفاء بها عن غيرها وحرصت دفناً للتهمة ومبالغة في الاحتجاج ان انقلها عن راولها يكون رومياً ملكياً متحسناً في طائفتيه متشدداً في عصيته حتى ظفرت

١) أولاً: Orientalium dignitas Ecclesiarum

المشرق - السنة الثانية العدد ٧

منها بسداد من عَزَز في كتاب مخطوط من تأليف السيد غريغوريوس عطا الشهير دعاه "حوض الجداول التاريخية في طائفة الروم الكاثوليكية". فأنه بعد ان نقل غالب التمسيد فيه من الرسالة العامة التي اصدرها البابا بناديكتس الرابع عشر في ٢١ لك ١ سنة ١٧١٣ قال في اثنايه:

" في القرن الثامن عشر سنة ١٧١٦ ارسل السيد اقيمس الصيني الشهير الروم الكاثوليكي مطران صيدا واستقى الكرسي الرسولي عن بعض رسوم كان يرغب تمثيلها من الطقس الرومي فصدر الجواب ان لا يتدع في الطقس الشي. كما يشير الى ذلك البابا بناديكتس في رسالته السابق ذكرها في العدد السادس والعشرين "

ولا يخفى ان الطائفة لذلك العهد لم تكن قد تغيّرت بعد من شقيقتها المنفصلة تثيرا تاماً ولا اجتمعت لها هذه الأمة التي تقبّاهى اليوم باستقلالها ومزلتها وتبارى في المناضة عن احسابها وتقاليدها. وانما كان ابناؤها حيثذ قنات متفرقة في ديار متباينة لا تصل بينهم صلة ولا تجمع كلمتهم جامعة بين اقوام يلحظونهم شزراً ويوسعونهم ضرراً بحيث كانوا لا يجسرون على المجاهرة باعتقاد ولا يقرّون على دفع ما يالهم من اذية الاضطهاد. كما يدل على ذلك الاعلام الديواني الصادر في تبرئتهم والمدافعة عنهم في المحكمة الشرعية في مدينة صيدا سنة ١١٣٥ للهجرة المدرجة نسخة في كتاب "القائد الامين" فلو كانت رومة قد شامت يومئذ ان تحدث في الطقس اليوناني جديداً او تغيّر منه قدماً لاسيا وقد خاطبها في هذا الصدد اشهر اخبار الطائفة واول مؤسس لرهبايتها الخلية لوجدت النسل في ذلك دانياً قريباً وألفت الطريق اليه سهلاً رحيباً دون ان تحذر غضب اقوام يندرونها بالشقاق والافتراق او تحشى تطاول صغبر تناديا منها مثل الاهرام " ان تقصر عملها على ما يكون في جانب الاحترام " (٢). ولكنها بدلاً من ان تحظر ذلك في وهما لم تلبث ان ارسلت تقول في الرسالة المشار اليها في العدد الثالث (٣): " قد قورنا في شأن طقوس وعوائد الروم قراراً تجب مراعاته قبل كل شي. انه لم يجوز قط ولا يجوز ابداً لاي كان بها كانت صفته وهما بلغت منزلة وأياً كان سلطانه ولو كان بطريكاً او اسقفاً ان يتدع فيها بدعة او يخلق جديداً من شأنه ان

(١) بد. هذه الرسالة: Demandatam (٢) الاهرام في مقالها من الاسكندرية

(٣) Demandatam § 3

في ٩ آب سنة ٩٨

يُبطل حفظها بالتأم والتدقيق». وتقول بعد ذلك بقال: «أنا نشكر التغييرات التي أحدثها في بعض عوائد الكنيسة اليونانية هذا الاسقف من تلقاء سلطته الخاصة دون استشارة الكرسي الرسولي ونقضي بطلانها بأسرها آمرين ان تحتفظ في المستقبل كل طقوس وعوائد الكنيسة اليونانية كما وضعها آباؤها حفظاً كاملاً مطلقاً»

ولم يكتب الكرسي الرسولي بهذا القرار الذي كان يمكنه لو كان له في نفسه أمانة يروم قضاءها ان يقتصر على احداه قولاً ويدع الطائفة حق حفظ طقوسها الخاصة ملقياً على عاتق اساقفتها تبعة تغيير رسومها بل شاء عناية منه بشؤونها وحرصاً على صيانة تقاليدهما من كل آفة تبديل بين لوعاتها ان يحتاط فعلاً لانفاذ حكمه الذي قضاه في إزالة ما طرأ من التغيير على يد رئيس اساقفة صيدا. ويحمل البطريرك وقتئذ على اجراء ما حتم به اضطراراً اذا لم يشأ اجراءه اختياراً. فأوعز الحبر الاعظم يومئذ البابا بناديكتس الثالث عشر الى مجمع الانتشار الايمان فأصدر في ثامن تموز سنة ١٧٢٩ قراراً صادق عليه بنفسه وجدده من بعده البابا بناديكتس الرابع عشر واشترط فيه على البطريرك المنتخب جديداً انه قبل ان ترسل له درع التثبيت يقيم «بان لا يغير لا بنفسه ولا بيد الذين هم في سلطانه تغييراً ما في طقوس الكنيسة اليونانية وعواندها المحمودة المصادق عليها من لدن الاحبار الرومانيين والمثبته عند الروم الكاثوليكين». وان يصرف كل عنيته وي بذل اقصى جهده لإعادة الرسوم التي بذلها اقيس رئيس اساقفة صيدا الى ما كانت عليه من قبل» (١)

وهذا الشاهد الاخير وحده كاف لإقناع كل منتهزم عن المهوى ان الكرسي الرسولي ما برح منذ جرى الانفصال المشؤوم الى الساعة الحاضرة ساهراً على رعاية الكنيسة اليونانية دأباً في حمايتها وصيانة طقوسها مهتماً بتأييد امتيازاتها والذب عن حقوقها اجلالاً لامتدادهما ان تبث في ايدي الاهواء وتزيياً لشرفها ان تبتذله عوامل الاغراض وقصاراته في ذلك استصلاح بنينا الذين انتزعهم من حضنه الابوي مآرب السياسة واسترجاع خرافها التي نفرتها عن حظيرة الكاثوليكية بعض اطماع الرئاسة وحسب المرتاب في ذلك مراجعة رسالة البابا بناديكتس الرابع عشر التي ارسل بموجب

بها في ٢٦ تموز سنة ١٧٥٥ (١) على سؤال القاه' على مجمع انتشار الايمان بعض المرسلين في البصرة. فانه قد ضمتها وحدها قرارات اثني عشر حبراً من قبله وعدد فيها جملة من اعمال الكرسي الرسولي كلها نائمة بالدفاع عن الطقوس الشرقية عموماً واليونانية خصوصاً. امره بالتشدد في حفظها والجري بحسب عواندها ورسومها دون ادنى تصرف او تبديل. واخص منها بالدفاع عن الطائفة ورد المطاعن التي طعن بها على طقوسها بعض المنتقدين الغربيين براءته التي خطبها في غرة اذار سنة ١٧٦٥ (٢) وحتم بها على الروم الملكيين استعمال الطبعة الجديدة من كتاب الانفولوجيون الذي كان قد امر بتقيقه لهم خاصة. ولولا حب الاختصار لأوردت منها ما يشهد الشهادة الصادقة بحجة الكرسي الرسولي للكنيسة اليونانية وعنايته الدائمة بالتنويه بقدرها وتبرئة ساحتها من كل ما يسيبها به بعض ضغنة المولفين

لا جرم ان المعتد في الكرسي الرسولي حب الاستيلاء على الكنيسة اليونانية والتدخل في شؤنها الخاصة لهدم اركان طقوسها واستدراج بنينا الى اللاتينية لا يبيى معتقده هذا على حجة داهنة تؤيد ما يدعيه ولا يستند في ما يزعمه الى شواهد حقها النظر في الماضي ودل عليها البحث في الحاضر. وانما يرتني ما يرتنيه لجرّد اوهام سطت على العقول ولقطت بها الافواه ينفثها ذرو الاغراض في صدور المغفلين خدمة للآرهم وسعياً وراء منفعتهم

وما يبين عليها اعتقاد فريق منهم ان الروم الملكيين في هذه الديار خلا اخوتهم المنفصلين هم اوحده من يقل الكنيسة اليونانية فذلك يسمى الكرسي الرسولي جبهه في ملاشاة امتيازاتهم ليتوصل بذلك الى ما يبتغيه من توحيد الطقوس كلها وتغليب اللاتينية عليها بين الطوائف الخاضعة لسلطانة. ولو تعلم هؤلاء لملوا ان في الديار القريبة اُمم يفوقونهم عدداً وعدداً يتبعون ظهيرهم الطقس اليوناني منهم الرومانيون والرومان والبلغار وغيرهم. فلو صحت المطامع التي تُنسب جهلاً الى الكرسي الرسولي لكان يجب ان تتحقق قبلاً في جماعتهم وإلا فكيف يمتد عاقل ان رومة يتخطى مثل هؤلاء الشعوب الذين يهازون ستة ملايين على قرب متاولهم منها وميل بعضهم الى اللاتينية وتعمد الى طائفة لا تكاد تتجاوز مئة وعشرين ألفاً لتبتلعها على

عزة. مأخذها وشدة تلقفها بتقاليدها وكونها شقيقة لطائفة تحب استصلاحها. بل ان في رومة نفسها وفي جوارها عدة اديار وكنائس يونانية فكيف يتقاضى الكرسي الرسولي عنها وهي ادنى اليه من جبل الوريد ولا يُبصر الا هذه الكنائس الثانية في تلك الاقطار القاصية. ولذلك كتب البابا لادن التاسع في جوابه للبطريرك ميخائيل كورولارس: «عندنا هنا في رومة وفي ظاهرها عدة اديار وكنائس يونانية لم يتعرض احد لمس تقاليدها وعوائد آباءها بل نحن بالعكس ننصح لها ان تتسك بها وننهيها الى المحافظة عليها. لان الكنيسة الرومانية لا تجهل ان اختلاف العوائد حسب اختلاف الازمنة والامكنة لا يكون عبة في سبيل خلاص المؤمنين اذا كان الايمان الواحد في الحجة الواحدة الساعية في الخير جهدها يشفع فيهم كلهم عند إله واحد (١)» ونما يشهد ايضاً بسلامة العقس اليوناني في الديار العربية ما ذكره صاحب «حوض الجداول التاريخية» حيث قال ما نصه: «في هذا القرن (الثامن عشر) اثبت البابا المذكور (بناديكتس) مجمع زاموسكا (Zamosk) وهي مدينة في روسية. والمجمع مختص بطاقة الروم اليونانيين. فحدده قائلاً: اتنا بتثيتنا المجمع المذكور لا نزيد احداً ان نبطل شيئاً من رسومات سلفنا الاحبار اليونانيين بمختص طقوس الروم التي يجب ان تستمر دائماً على حالها (٢)»

وعلى ذلك فلم يبق محلّ لاحد ان يظن الظنون في نيّات رومة في الطائفة بمد ما اثبتناه من محبتها الشديدة للطقوس اليونانية وغيبتها الدائمة على حراسها من تسلط كل بدعة او اختلاف. ومن ثم عاد من العبث الحض «ان نحفظ كل الاحتفاظ بحقوقنا وامتيازاتنا المؤيدة منها» (٣) في حين انما احرص منّا على حفظ هذه الحقوق سالمة من الضياع. وارغب في بقاء هذه الامتيازات معززة باشد ما يُستطاع. وكل منصف متجرد عن الهوى يعلم اليوم علم اليقين ان رومة ليست هي بالتي «تعمل يدها على ما يحجر نفاراً ويجلب شقاءاً» (٣) بل انما الوالدة التي لا تعمل الا على الوفاق والائتلاف. ولا تسمى إلا في إصلاح ذات البين وحسم دواعي الخلاف. وقد دلت سياستها في الشرق

Lettre à Michel Cérulaire (١)

(٢) راجع رسالة البابا بناديكتس الثالث عشر المفتحة بقوله: Apostolatus officium.

(٣) الاهرام في مقالاتها السابقة الذكر

والغرب. ما أنها لا تمفل لحظة عن بذل كل ما في طرقها لاستصلاح بنينا المارقين من طاعتها. الشاردين من حظيرتها. فكيف يستقد عاقل أنها "تعمل يسدها على ما يحرج زفارا وبحاب شقاقا" بين المعتصين بحبلها المستظلين بظلها ولاسيا هذه الطائفة الرومية الملكية التي ما برحت موضوع عنايتها الابوية "لا تدخر وسعا في سبيل ترقية رفق شأنا وابلاغها المقام الذي يضمن لها التوسع والانتشار بما هيأت لها من اسباب النجاح وخصتها به من البيع الحافظة لصيتها الكافة لدوام ميزتها" (١) فضلا عن ذلك الاحسان الذي ما فتئت تفيضه عليها من معين فضلها العميم. وذلك الحنان الذي لبثت تخنوبه عليها حنو الوالدات على القطيم

فكانت لها عما لطيفا ووالدا رورقا وأما أفرشت فأناست

فاذا عرف والحالة هذه ما يكتفه فوادها الابوي من المحبة المحلصة للطائفة مع الحرص على رعاية تعاليدها واتباع وسرها حيثما لا تكون هذه التقاليد والرسوم في بعض احوالها ومقتضياتها عتبة في سبيل غورها وصلاحها. وسدا في وجه تقدسها ونجاحها. لم تبقى حجة لنصف عدل مها كان شديد التعلق بقديمه ان ينكر عليها حقها في رعاية الانتخاب الذي اندرأت عليها من اجله الصحف المتطاولة بكلام دفعه فيها الغضب الآخر فآلقت على عواهنه دون تردد ولا إيمان. وقد اثبتنا في مقالتنا في البصير (١٢) سنة ١٩٧) ان ليست هذه اول مرة شهدت فيها رومة بواسطة قصادها مجمع الانتخاب وعثرنا اليوم على اثر عن بعض هذه المجمع المشتمة في القرن الماضي بخطوط مؤلفيه انفسهم واختامهم يشهد الشهادة الصريحة بمطابقة ما اثبتناه للواقع او يكون حجة جديدة تقطع باثباته وتعين على تصحيح حقوق الكرسي الرسولي لدى كل مدافع متشبث باهداب الطقس. ونحن نورد ههنا نسخة هذا الاثر عن اصل له محفوظ عند جناب الوجيه ميخائيل افندي السيوفي نذكره برمتيه نظرا لمكانته التاريخية وكونه من جملة الادلة الرومية الملكية التي اشترطنا على نفسنا ايرادها في صدر مقالتنا هذه. وهذا نسف بالحرف الواحد:

« الحمد لله دائما »

« النعمة الالهية والبركة السموية الحالة على الزمرة الابوسطولية الاطهار في العرفة »

الصهيونية تحل وتستقر على ذات حضرة اولادنا الروحانيين معاص الآباء الحوارنة
المقرين وطفلة الكهنة الوردية والاراضية المبجلين وباقي لقيف الميحيين اولاد بيعة
الله الكاثوليكين الموجودين ضمن ابرشية الكرسي الانطاكي والاسكندرا في
والاورشليمي الكرمن بارك الرب الاله عليهم وعلى اعيالهم وانجالهم وانفسهم واجادهم
وسائر تصرفاتهم باتم البركات السموية آمين

« نعلم بحسبكم انه اذ كان البارئ تعالى بهذه الايام المباركة المسورة من الاكدار
قد نقل السيد كيريو كير كيللس البطريك الانطاكي من هذا العالم الفاني لتلك
الاكدار السموية ليبة اكليل سعيه الصالح بالكرم السيدي وفرغت كاتدرا الكرسي
الانطاكي المقدس من البطاركة المتسلم عكاز رعايتها فذلك نحن اساقفة هذا الكرسي
المقدس من حيث انه يخصصنا انتخاب البطريك الشرعي اجتماعنا في دير القديس
ماري جاورجيوس الغرب بذواتنا وبالنسبة عن اكليروس وارخندوس ابرشياتنا ورعاياتنا
كلها ثم عن اكليروس الكرسي الانطاكي وارخندوس وباقي رعيته واكليروس وارخندوس
رعايا الكرسي الاسكندري والاورشليمي المقدسين وبعد التوصل الى الروح القدس
والابتهاال والفحص الثاني والبحث عن كل ما يجب دخلا كنيسة الدير المذكور في اليوم
الحادي والثلاثين من شهر آب سنة ١٧٩٦ لاجل الاقتراع القانوني لانتخاب البطريك
الجديد » بحضور الشهود الشرعيين القانونيين المزينين بالعلم والخبرة الكافية « واكملنا
الاقتراع المقدس بموجب ترتيب القوانين المقدسة فتم الاقتراع القانوني الى السيد كيريو
كير اغايوس مطر مطران مدينة صيدا الكلي الطوبى وانتخب بطريكتنا للدة
الانطاكية المقدسة انتخاباً شرعياً كثنائياً كاملاً حسب القوانين المقدسة المسكونية
المرتبة من الآباء القديسين وجميعنا سلمناه عكاز الرعاية وخضعنا له خضوعاً قليلاً - نأله
تعالى ان يهب التأيد العلوي ويحمل انتخابه هذا المقدس واسطة البركات والنعم السموية
والارضية لجميع الرعايا - هذا ما وجب تحريره الان لحسبكم بعد تجديد البركة عليكم
ثانياً وثالثاً

« حرر في ١ شهر ايلول سنة ١٧٩٦ سنة وتسعين وسبعائة والف

« الحقيق في رؤساء الكهنة: باسيليوس مطران الفرزل والباق + الحقيق الخ:
يوسف مطران قارا + اغايوس مطران ديار بكر + مكاريوس مطران عكا والاراضي

القدسة ÷ . اغناطيوس مطران بيروت ÷ . برثانيوس رئيس اساقفة صور ÷ . بناديكتوس
مطران بعلبك ÷

ولا حاجة الى التنبيه على جلالة هذا الاثر الصادر عن رؤساء الكهنوت انفسهم
الصانع بما لا يدع ريباً في النفس . ووضع الشاهد فيه « حضور الشهود الشرعيين
القانونيين » الجامع للثبوت للانتخاب . وعليه فان كل من لم يكن بين عداد هؤلاء الشهود
بل في مقدمة جميعهم النائب الرسولي ولا غيره اثبت منه حقاً وأجدر صدقاً باداء
الشهادة فكيف يسوغ اليوم لكاثوليكي صادق الحجة للسدة الرسولية ان يستجيز تأدية
هذه الشهادة لنفسه على كونه رعية من ارجب فروضها تلقي نتيجة الانتخاب بالتبطل
والإذعان ولا يستجيزها للاب الاقدس على كونه الراعي الاول الذي يحتاج ان يتحقق
قانونية انتخاب من يشاركه في الرعاية قبل ان يجيب الى تثبيته ويصدق على تنصيبه .
وإلا فإين الصدق في هذه الحجة التي تتقاضى ما لها وتأبى ما عليها . أجل لقد حان
لهذه الفئة المتسرة بأذيال الطقس الجاهلة في يومها ما كان في الامس . ان تطرح التردد
والخيلا . وتخاص الطاعة والانتباه . قد كفى ما جنته بفعلها من العار . وجرته بقولها
من العار . وقد قيل كن يهودياً تاماً وألاً لا تلب بالتوراة

الرسالة الشهائية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتلخيص حواشيها الاب لويس رتزال اليسوعي
(تابع لاقبله)

الفصل الرابع

في قسمة الديوان الى ديوانين متساكين

قد علم بما تقدم بيانه البعد الكائن بين كل برج وبرج على التوالي . فظهر ان
الديوان ينقسم الى قسمين متساكين احدهما من اليكاه الى الدوكاه والثاني من الرست
الى النوى فيكون كل قسم منها خمسة ابراج لان برجي الرست والدوكاه يتوافقان